مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٤: ٦-١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أَمَرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أَشرَقَ في قلوبِنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خَزَفِيَّةٍ ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ مُنحصرين. ومُتحيِّرينَ ولكن غيرَ يائسين* ومُضطهَدين ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غيرَ هالكين* حامِلينَ في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتَةَ الربِّ يسوعَ لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادِنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتَة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذ فينا روحُ الإيمانِ بعينِه على حَسَبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلَّمتُ فنحن أيضاً

القلب

ان القلب عنصر أساسيٌّ في الإنسان. وبالإضافة إلى كونه العضو الأساسي في جسم الإنسان إلى جانب الدماغ، اعتُبر أيضاً مركز الأحاسيس والمشاعر والرغبات. الكتاب المقدّس أضاف أنه مركز اللقاء مع الله، لا بل مكان سكنى الله في الإنسان، وأن معرفة الله الحقيقيّة تنبع من القلب المستنير بنور الله. الله تعالى لا يسكن في هياكل من صنع أيدي الناس بل في قلوب الناس الذين خلقهم هو، وهي من صنع يديه. هناك صور عديدة في الكتاب المقدّس نذكر منها: «ها أيّامٌ تأتي يقولُ الربُّ وأقطعُ مع بيتِ إسرائيلَ ومع بيتِ يهوذا عهداً جديداً... أجعلُ شريعتي في داخِلِهم وأكتُبها على **قلوبِهم** وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً، ولا يُعلّمون بعدُ كلُّ واحدٍ صاحِبَهُ وكلُّ واحدٍ أخاهُ قائلينَ اعرفوا الربَّ لأنّهم كلّهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقولُ الربُّ. لأنّي أصفحُ عن إثمِهم ولا أذكُرُ خطيئتهم بعدُ» (إر ٣١: ٣١-٣٤)، «لأنَّ محبَّة الله قد انسكبت في **قلوبنا** بالروح القدس المُعطى لنا» (رو٥: ٥)، «ليحلَّ المسيح بالإيمان في **قلوبكم**» (أف ٣: ١٧).

في المقطع من رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثوس(٤: ٦-١٥)، الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم، يؤكّد لنا الرسول أنّ الله نفسه ينير قلوبنا حتى نعرفه معرفةً حقيقيّة ونرى مجده في وجه الرب يسوع المسيح: «إنَّ اللهَ الذي أَمَرَ أن يُشرِقَ من ظلمةٍ نورٌ هو الذي أشرق **في قلوبنا** لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيحِ» (٢ كور ٤: ٦).

في هذا الإطار لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الكلام على القلب في العلاقة مع الله لا يعني المشاعر التي قد تتولّد في قلوبنا تجاه الله، بل الحياة مع الله أو بحسب إرادة الله. فكما تدب الحياة فينا مع كلّ نبضة قلب، هكذا يكون الرب في كلّ لحظة حاضراً في قلوبنا محييا إيّانا، لا بل هو يحيا فينا، هو حياتنا: «مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غلا ٢: ٢٠). ولكن أن نحيا مع الله يعني أن نعيش ونسلك بحسب وصاياه، وهذا ما عبّر عنه الكتاب المقدّس عندما أشار إلى أنّ الله سيحفر وصاياه على ألواح قلوبنا «مكتوبة لا بحبر بل بروح الله

العدد ٢٠١٣/٤٠

الأحد ٦ تشرين الأول

تذكار القديس توما الرسول

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الرابع

نـؤمِـنُ ولـذلك نـتـكـلَّـمُ* عالمينَ أنَّ الذي أقام الربَّ يسوعَ سيُقيمُنا نحنُ أيضاً بيسوعَ فننتصِبُ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثرَ النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزدادُ لمجدِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٧: ١١–١٦)

في ذلك الزمانِ كان يسوعُ منطلقاً إلى مدينةٍ اسمُها ناينُ وكان كثيرون من تلاميذهِ وجمعٌ غفيرٌ منطلقينَ معه* فلمَّا قربَ من بابِ المدينةِ إذا مَيْتٌ محمولٌ وهو ابنٌ وحيدٌ لأُمِّه وكانت أرملةً وكان معها جمعٌ كثيرٌ من المدينة* فلمَّا رآها الربُ تحنَّنَ عليها وقال لها لا تبكي* ودنا ولمسَ النعشَ (فوقف الحاملون). فقال أيُّها الشابُّ لك أقولُ قُمْ* فاستوى الميْتُ وبدأ يتكلَّمُ فسلَّمهُ إلى أمِّهِ* فأخذَ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللهَ قائلينَ لقد قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتَقَدَ اللهُ شعبَهُ.

تأمل

«لتظهر حياة يسوع أيضاً في أجسادنا».

كثيرة هي العناصر الضرورية لحياتنا كالهواء والنور والغذاء واللباس الحي، لا في ألواحٍ حجريّة بل في ألواح قلبٍ لحميَّة» (٢ كور ٣: ٣)، فتكون وصاياه جزءاً لا يتجزّأ منّا.

غير أنّ المعرفة تأتي عن طريق العقل، والعقل يحلّل الأمور بناء على المنطق والعلم، وهذا ما قد يتعارض مع وصايا الله، مثلاً: «أحبّوا أعداءَكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (متى ٥: ٤٤). لذلك كان لا بد من أن يخضع العقل للقلب. فإن كانت معرفة الله تبدأ أولاً بالعقل عن طريق سماع كلمة الله وقراءتها وفهمها، إلاّ أنّ اللقاء معه يحصل في القلب، كما ذكرنا سابقاً. على هذا الأساس نرى أنّ الرسول بولس يزدري بالمعرفة العقليّة المحضة والخبرة الحسيّة، ويسمّيها «حكمة هذا العالم»، والتي قد تؤدي بالإنسان إلى الابتعاد عن الله. فكيف يمكن للعقل أن يحوي الخالق أو أن يدرك جوهره حسيًّا؟: «لأنّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأمّا عندنا نحن المخلَّصين فهي قوّة الله. لأنّه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم؟ أين الكاتب؟ أين مُباحث هذا الدهر؟ ألم يجهّل الله حكمة هذا العالم؟ لأنّه إذا كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة. لأنّ اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة، ولكنّنا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالةً» (١ كور ١: ١٨–٢٣).

لقد وعى الآباء القديسون أنّ الوصول إلى القلب لا بدّ من أن يحصل من الخارج إلى الداخل، أي من العقل والحواس وصولاً إلى القلب. فالتواصل مع الله في القلب لا بدّ من أن يبدأ من هذه الطريق، لذلك على العقل والحواس أن تتعلّم الصلاة، أن تتواصل مع الله أولاً، من خلال قراءة كلمة الله المحيية وحفظ وصاياه، وتلاوة الصلاة المكتوبة أو المسموعة، والنظر إلى الأيقونات المقدّسة، والسجود، واستعمال المسبحة... هكذا يتحضّر القلب للّقاء المنشود مع الرب، الذي يحلّ في القلب (أف ٣: ١٧). هذا ما أسماه الآباء القديسون الصلاة القلبيّة. بهذه الطريقة يتطهّر القلب ويستنير بنور الله فنرى «مجد الله في وجه يسوع المسيح». لقد علّمنا الآباء القدّيسون أن رؤية الله تصير في القلب. الله لا يسكن فينا فقط بل يغلّفنا، «يظلّلنا». كما ذكرنا سابقاً لا يمكن للمخلوق أن يرى مجد الله بالحواس. النور الذي رآه قدّيسون كثيرون كان نور الله غير المخلوق، هذا الذي رآه الرسل على جبل ثابور عندما تجلّى الله أمامهم، حيث ظلّلتهم الغمامة وتكلّم الله من الغمامة (متى ١٧: ١–٥).

أمّا كيف يمكن أن يميّز الإنسان المؤمن ما قد يراه من نور، فقد أعطانا الآباء القدّيسون معياراً هو أنّ ما يمكن أن تحدّه الحواس يكون مخلوقاً، فإذا أدرك الإنسان مثلاً مصدر النور، كأن يراه أمامه أو صادراً من مكانٍ ما، عرف أنّ هذا النور مخلوق. الأهم من ذلك هو أنّ الإنسان عندما يُوهَبُ الرؤية الإلهيّة تتعطّل حواسه، إذ يكون في حضرة الله. ذُكر أن أحد الآباء القديسين وقف عند المساء ليصلي رافعاً يديه إلى العلاء، وإذ حباه الله رؤيته لم يشعر إلاّ وشمس الصباح تلفح جبينه.

وقدرتنا الطبيعية وأعضاء جسدنا. ومع ذلك فإننا لا نستعملها كلها في وقتٍ واحد. حيناً نستعمل هذه وحيناً تلك وفقاً لمتطلبات الساعة. كذلك أيضاً لا يستطيع عنصر واحد أن يغطي كل حاجاتنا، فاللباس يصلح لحماية الجسد لا لتغذيته، ولكي نخرس صوت الجوع يجب أن نطلب لنحصل على الغذاء. النور لا يقوم مقام الهواء والهواء مهما كان ثميناً لا يعوّض عن شعاع شمس واحد، وكذلك أعضاء جسدنا فكثيراً ما تبقى أعيننا وأيدينا ساكنة عندما يكون السماع في حركة وذلك لأننا لا نستعمل حواسنا في وقت واحد. أصابع اليد صالحة لخدمة حاسة اللمس وعندما نريد أن نشم أو أن نسمع أو أن ننظر فإننا نستعمل الأعضاء المخصصة لها في الجسد.

ان المخلّص هو للأرواح المتحدة به الألف واليائ ويتجاوب مع كل رغبة وبه كل القدرة ليرضي ويحقق حتى أعمق ضرورات النفس. انه لا يدع النفس تميل بأنظارها أو تتجه برغباتها إلى شخص غير شخصه وإلى غرض خارجاً عنه، لأنه يحقق لها ويعطيها كل شيء ولن تحتاج النفس إلى شيء إلا وتناله من المسيح إذ لا شيء خارجه. انه هو الذي يعطي للنفس الوجود والحياة. يغذيها ويهبها

«وأهّلنا أيها السيّد»

الصلاة جسرٌ يمتدّ بين الأرض والسماء. هي الوسيلة التي بها يتّصل الأرضيون بالسماويين. بالصلاة يمكن للبشر أن يتواصلوا مع الله وقدّيسيه. ليست الصلاة فريضةً من اختراع البشر وإنّما هي الوسيلة للحوار مع الله كما اختبرها شعب الله منذ العهد القديم. موسى وإبرهيم ويوسف هم نماذج للصلاة المرفوعة إلى الله. مزامير النبي داود بدورها تشكل مثالاً لتَغَنّي شعب الله بالإله الخالق. وفي العهد الجديد نجد المسيح أكثر من مرّةٍ مصلّياً وطالباً من الآب كما صلّى في الجثسمانيّة وعند إقامة لعازر. وقد علّمنا الرب يسوع كيف نصلّي: «متى صلّيتم فقولوا أبانا الذي في السموات، ليتقدّس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض...» (لو ١١: ١–٤). هذه الصلاة الربّية وكيفيّة تلاوتها في الكنيسة، يمكن أن نفسّر من خلالها كيفيّة صلاة الإنسان.

خلال القداس الإلهي وفي الجزء المعروف بالكلام الجوهري، بعد حلول الروح القدس على القرابين المقدّمة، يتلو الكاهن طلبات خاصّة. بحسب القديس نيقولا كاباسيلاس تُقال هذه الطلبات «إذ يرى الكاهن أمامه حبّ الله للناس، أي حمل الله، يستشفعه ويستعين به». وفي آخر هذه الطلبات يقول الكاهن «وأهّلنا أيّها السيّد أن نجسر بدالّةٍ وندعوك أباً غير مدانين».

«وأهّلنا»، نطلب إلى الله أن يجعلنا أهلاً أي قادرين ومستحقّين. نطلب سماحاً وقبولاً من الله. الصلاة بالشفاه، صلاةٌ فاترة لا تصل إلى الله لأن الفاتر يتقيّأه الله. أمّا المؤمن فلا يردّد كلمات دون معرفة معناها. إنه يدرك ما يقوله ويطلب إلى الله أن يسمح له بأن يحاوره ويحسب نفسه إبناً له. كلّ واحدٍ منّا يطلب إليه ويسأله شخصيًا أن يستمع إلى صلاته القلبيّة. هذا السؤال يدلّ على نباهة نفس المؤمن وتواضعه. لا يدّعي المؤمن أنّه ابنٌ ولكن بتواضع يطلب إلى الله الإصغاء لصلاته. والمؤمن يعلم أنّ الله يبادر نحوه دائماً فهو الواقف عند الباب يقرع، منتظراً أن نفتح له قلوبنا فيدخلها. لقد أعطانا الحريّة ولم يجعلنا عبيداً. نحن أحرارٌ أن نقترب أو نبتعد عنه. علّمنا الصلاة الربّيّة ولنا حرّيَة تلاوتها. يقول القديس كيرلس الإسكندري «حين تختار الحريّة البشريّة الإرادة الإلهيّة، تحوّل الإنسان من مدعوٍّ إلى مختار».

عندما نقول «أيّها السيّد» نكون مكرّرين لإعترافنا بسيادة الله. هو سيّد هذا العالم وسيّد الخليقة وملجأها. ليس الله بحاجة إلى مَن يمدحه ويطلق عليه الألقاب وإنّما الإنسان بحاجة إلى الإعتراف بسيادة الله وقوّته. بحاجة إلى إبعاد أيّ سيّدٍ عنه لأنّ الإنسان ليس عبداً لسيّده وإنّما هو مشاركٌ بحريّة لهذا السيّد أي الله. ليس عبداً وإنّما ابنٌ بالتبنّي.

«أن نجسر بدالّة». لدى الإنسان دائماً خوفٌ ورهبةٌ من أسياد هذا العالم. غالباً ما نخاف أن نطلب شيئاً ضروريًّا من ربّ العمل إمّا لتسلّطه أو بسبب جهل هذا الأخير وظنّه أنّه متواضعٌ قريب. أن يدنو الإنسان من سيّده لطلب أمرٍ ما لهو أمرٌ يحمله على الخوف والإضطراب عادةً. أمّا سيّد السماء والأرض، الرب يسوع، فهو السيّد الذي يمكن الإقتراب منه وتناوله بالكليّة في المناولة الإلهيّة. لذا لا خوف أو رعدة لدى المؤمن حين يقول هذه الكلمات

إمكانية الانفتاح لترى انه هو المغذي والغذاء للروح. يعطيها خبز الحياة والوجود وهو هذا الخبز. انه الحياة للذين يعيشون حياة روحية، والأريج للمؤمنين الذين يستطيعون أن يشموا ويتمتعوا بشذاه الروحي الإلهي. إنه اللباس الروحي المقدَّم للذين يرغبون أن تتشح به نفوسهم والطريق الذي يجب أن نسلكه في حياتنا. إنه هو المسدد لخطواتنا لمتابعة رحلتنا آمنين. إنه نهاية للطريق ومحطة نقف فيها ومسكن لحياتنا طوال سفرتنا الأرضية.

اننا نحن الأعضاء، والرأس هو المسيح. أنجاهد «الجهاد الحسن»؟ انه يجاهد معنا. أنتقدَّم في الجهاد؟ انه الذي ينصرنا. أنحرز انتصارات روحية؟ المسيح على استعداد ليضفر الإكليل فوق رؤوسنا. وهكذا يصبح المسيح محوراً لحياتنا فلا يدعنا نهتم أو نلصق قلوبنا إلا به. مهما تعدَّدت اتجاهات أحلامنا فلن تصادف غير المسيح فهو قمة السمو لأحلامنا السامية. المسيح يحتضن الكل ليحقق كل رغبة من رغباتنا الإلهية المقدسة.

القديس نيقولا كاباسيلاس

إذ يثق بأنّ السيّد عطوفٌ وقد احتمل الصليب من أجله. من عدم الخوف هذا تأتي عبارة «بدالّة». علينا أن نجسر على الإقتراب من السيّد بتواضع ووقار. هذه الجسارة على الإقتراب نابعة من الدالّة التي أعطانا إيّاها الله. لنا دالّة كبيرة عند الله فنحن خليقته وما توقّف يوماً عن إمدادنا بما نحتاجه للعيش حتى إنّه بذل نفسه على الصليب ليخلّصنا. أعمال الله هذه ناتجة من المحبّة. وهذه المحبّة الإلهيّة هي الدالّة التي للبشر عند الله. تشكّل المحبّة الإلهيّة، الصخرة التي يرتكز عليها المؤمن عند الصعاب.

«ندعوك أباً». هذه المقدّمة السابقة التي تضمّنت الإيمان بالسيّد وتواضعاً للإقتراب منه، هدفها أن يدعو المؤمن الله «أباً». هذه هي وصيّة السيّد لنا حين نصلّي، أن نعترف بأنّ الله أبونا. وهذه الوصيّة تحدّث عنها بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية حين قال: «إذ لم تأخذوا روح العبوديّة أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنّي الذي به نصرخ يا أبّا الآب» (رو ٨: ١٥).

«غير مدانين» قد نكون هنا أمام الحالة الفضلى في الحياة الروحيّة بألاّ تكون علينا إدانة. المسيح صلب من أجلنا بعدما سلّطنا على كلّ ما خلق في هذه الدنيا ذلك كي يغفر كلّ خطيئة سابقة قد ندان عليها. قصة علاقة الإنسان مع الله هي رواية معصية وتوبة مستمرّة على مرّ العصور. بعد أن أعطانا كلّ شيء وقعنا في خطايا سمحت بأن ندان مجدّداً. إلاّ أنّ التوبة كانت ولا تزال الدواء الذي يقدّمه لنا الله. التوبة تجعلنا مستحقّين أن ندعى أبناءً لله حافظين وصاياه وسالكين بحسب تعاليمه. لذا أن ندعو الله أباً ونحن نعيش حياةً لا مكان له فيها، لهو أمرٌ مُدان. إنّ لنا هذه المعرفة وهذه العلاقة التي تربطنا به فهل نتواقح وندعوه أباً في حين أنّنا نعطي السيادة على حياتنا لقوى الظلام أي الشيطان؟ إنّ عملاً كهذا يجعلنا مُدانين. ولكن المؤمن، لأن خطيئته أمامه في كلّ حين، يستطيع من خلال التوبة أن يبلغ إلى دعوة الله أباه من دون أن يواجه حكماً بالإدانة. كيف لا والإبن الشاطر في المَثَل الإنجيلي، بعد أن نبذ والده وعاش حياة سوء، تاب وعاد إلى والده واعترف به أباً له وما كان من الوالد إلاّ أن تناسى كلّ ما فعله ابنه وضمّه إلى بيته الأبوي.

إنّ الله واقفٌ على الباب يقرع. ولنا الحريّة أن نفتح له ونُدخله. إنّنا لنخجل من صديق فنفتح له بابنا فما الحري بناً حين يكون الله هو مَن يقرع؟ هو المصغي دوماً لطلباتنا وأمّا نحن فما علينا إلاّ أن نجسر ونطلب إليه واثقين بأنّ من افتدانا على الصليب، لن يديننا على خطايانا إن أقبلنا إليه بانسحاقٍ ورعدةٍ داعين إيّاه «أبانا».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb